

هذا الكتاب

خطاطة ترحال عبدالله ساورة

سرد مغربي

محمد الغربي عمران

أهداني العزيز عبدالله ساورة أحد إصداراته القصصية الموسومة بـ "خطاطة الترحال" 2009م الصادرة في قلعة السرعة، وتضم بين طياتها ما يزيد عن سبعة عشر نصاً إضافة إلى عقائد سردية قصيرة جداً.

قرأت تلك النصوص على فترات متفاوتة.. وخطيت ملاحظات على هوامش المتن.. ليأتي شهر رمضان الكريم وأنا في فسحة من أمني.. حيث تمكنت من قراءة عدد من إصدارات الأصدقاء والكتابة حولها.. ومنها "خطاطة الترحال" والتي أدهشتني بعض نصوصها.. ووما الإبداع إلا دهشة.

ويسمح لي القارئ الكريم أن أستعرض معه ملاحظات قارئ متذوق للسرد.

وسأتجاوز عتبات الإضمامة عدى عتبة أوردها الكاتب كشهادة حول كتاباته وهي بعنوان "في الكتابة والحب" يقدم ساورة رواة حول الإبداع وعلاقة الكاتب بالنص.. ابتداءً بالرواية التي ينظر بها الأشياء من حوله مروراً باقتناص الفكرة.. وتحويلها إلى نص مقروء.. وتلك العلاقة الشائكة بين الواقع والخيال فيما يخط من إبداع.. ليختتم ذلك النص حقيقة حينما أكتب عن زهدي وسكوني فأبني الكتب في معاني الحب الرائعة... وقد تعودنا أن يخط أحدهم مقدمة يعرف القارئ يصاحب النصوص كما يقدم النصوص في ثوب مشوق.. لكن كاتبنا قدم لنا شهادة.. وأجزم بأنه أبداع بهذا التجريب.

وقبل الدخول في النص سأعرج بشكل سريع على العنوان.. حيث يأتي العنوان لدى ساورة كما لو أنه أراد تقديم نص من مفردتين.. فقل ما تجد بين عنوانيه من مفردة واحدة حيث تكونت كل عنوان من مفردتين.. أي أن القارئ يقرأ تلك العناوين بإحساس الجملة المفيدة.. وهذا ما أعني اقتراب العنوان من النص.. فهو يحمل فكرة أو شبه فكرة.. فمثلاً في النصوص التالية: ميناء الشوق.. الشابة عائدة.. صانع الأقفال تأتي تلك العناوين محملة بمعاني وإيهامات متعددة.

الأمر الآخر أن الكاتب قدم لنا نصوصاً توزعت أفكارها بين الهم القومي بنضج عال وهم الهجرة.. والهم الوطني.. كما أفسح حيز للمرأة.. وبدأها بتلك النصوص التي عالجت الهموم القومية.. مثل: خطاطات الوطن.. مهالز عربية معاصرة.. وغيرها من النصوص التي تبرز تلك العلاقة القوية بين الإنسان المغربي وقضايا الأمة وهمومها.

كما أن نصوصاً أخرى تبرز نضج الكاتب

وطبنا حيث هجم الفساد والتسلط

.. في صور نقدية ساخرة ولذعة.. وأجزم أن ضمن تلك النصوص عدد منها لو لم يكتب عبدالله إلا هي

لكنه.. واستعرض عدد منها مثل "الخانزير" نصاً يذكرنا بالكاتب الكبار حيث مزج الكاتب بين الواقع والخيال ليقدّم لنا أحكام

امتحنوا الذئبة.. وقد قدمهم من خلال حيلة سردية حين جاء بالنص "سألني صديقي

البوليفي ما الذي يجمع بين الملكية والخنازير؟ فكرت قليلاً.. فاجاني كعادته

بأسئلة اللقطة.. المزعجة والمبغاة في نفس الوقت.. استندرتك القول بسؤال مماثل: وهل هناك ملوك

خنازير؟" ليحكى له صديقه عن ملك كان يحكم الناس في النهار

ليتحول إلى خنزير أليف ليلا.. ثم يتجه السارد إلى وصف ذلك الملك الذي ينصب أجهزة

التعذيب والإعدامات في حق أفراد الشعب بعد أن عجز الأبطال في مواجهه.. نص قوي ينقله وذا نكهة ساخرة.. ألق وأوسع وممتع من الخيال.. وسلاسة وترابط في الوصف.

نص ثان بعنوان "فيما بعد" لم يكن ذلك الطفل قد خطه قهره ليكون ابن أسرة فقيرة يعمل ربهما لدى أسرة ميسورة.. ليومز الكاتب بالكاتب وأسمه بوش.. وإلى تسمية الجرو الصغير الذي أهدته أمه له باسم طاعة عربي.. بعد أن أخذ والده منه كلبه لأن إبنة العائلة الميسورة

أرادت أن يكون الكلب لها مقابل بقايا البسة مستهلكة.. هي قصة فارة بمدلولاتها وسخرتها ونقدها وتركيب أحداثها.. لم يكف الكاتب بنقله للأوضاع داخل وطنه بل تجاوزه إلى نقد

الطغاة العرب.. وإلى ما هو عالمي بتسمية كلبه باسم بوش.

من خلال عدد من النصوص يدرك القارئ بأنه أمام مبدع كبير.. مثل النصوص التالية: الشابة عائدة.. سقوط أمريكا.. صانع الأقفال.. وغيرها من نصوص الإضمامة التي أبرز

الكاتب قضايا غاية في الأهمية وبأسلوبه الساخر الممتع.. "الشابة عائدة" نص يسلط الضوء على كائن يعيش لحظات حياته بمرح وقناعة.. وقد أمّنت بما تقوم به.. ولم تكن ترى ما يراه الآخرون بأن حياتها معبية وعلاقتها شائكة.. ليصل بنا الكاتب إلى نهاية نصه بعوت عائدة

..وعندها ندرک بأنها تركت فراغاً كبيراً وأن دورها في الحياة كان دوراً فاعلاً خاصة مع ذوي التجارب القصيرة.. وأن إيمانها بحياتها وما تقوم به كان شيئاً إيجابياً.. وهنا يتعاطف القارئ مع مثل تلك الكائنات الهشة.

نص "سقوط أمريكا" وتلك المفارقات التي كانت تصادف ذكرى ميلاده السنوي فتارة يصادف ذكرى إحقاق المسجد الأقصى.. وأخرى صادف ذكرى تمع لحريات عامة.. لا يأتي ذكرى عيد ميلاده إلا وصادف مناسبة بانسة وطبنا أو عريباً أو عالمياً.. وهكذا يظهر عبد الميلاذ وكأنه احتفال بتلك المناسبات الحزينة.. ومن خلال مثل تلك النص يظهر لنا كم نحن أفراد

ومجتمعات عربية نعرق في الأحران والمناسبات البائسة.. وكأننا كائنات الحزن والهزال الدائمة التي تتخلل حتى أجمل التكرات والمناسبات.

ومن خلال نصوص الإضمامة يدرك القارئ ثراء لغة الكاتب وأساليبه المتعددة.. لينتقل من نص إلى آخر وقد اختلف هنا الوصف.. وجاءت الصياغة في نص آخر معيارية لما اتبعه الكاتب في نصوصه الأخرى.

أمر آخر تلك الشخصيات من صانع الأقفال إلى مول الكبر.. والشابة عائدة وغيرها.. التي يشعر القارئ بحميمية تلك الكائنات وقربها من نفسه.. وقد أجاد الكاتب اختيار شخصياته من محيطه الاجتماعي لينجح الهاشم أكبر مساحة.. في نصوص تلك الكائنات البسيطة

والمستلبة حق الوجود والاحتراف بها.. كما هي في نصوص خصصها الكاتب للمهاجرين نحو الشمال.. هناك حيث العمل والحياة الحرة.. بعيداً عن أوطانهم بحثاً عن الكرامة والحياة الحرة.. ومثال على تلك النصوص: خطاط التبع.. ترحال المصير.. خطاط الترحال.. وغيرها

من النصوص.. لينسج عبدالله ساورة في نصوص أخرى موازية للهجرة خارج الوطن.. إلى ذلك الاغتراب داخل الوطن.. وتلك الشخصيات الهامة في وجود لا يعينها.

أفق المرأة في نصوصه إضمامتها عالجت أكثر قضية.. في النصوص التالية: الأشجار الباسقة.. والشابة عائدة.. الهبيي.. ترحال الحب.. ركز الكاتب على العذرة.. العلاقة الناضجة.. حياة المرأة في مجتمعات أوربية.. العلاقات الفاشلة وغير المتكافئة.. هي حيوات متنوعة تختلف من امرأة إلى أخرى.. فهذه مغربية وتلك أوربية.. لينتهي بنا إلى عوالم

تتمتاز فيها خيوط الواقع بالخيال.. وهنا ينتج ساورة إيقونات سردية غاية في الإدهاش مضمونها وشكلها.. لا يمتلك القارئ إلى التعاطف مع كائنات تلك النصوص.

وجانب آخر.. هي القصة القصيرة جداً.. لحظة قراءة تلك النصوص يشعر القارئ بأن الكاتب يجالسه.. وقد تاملت صوتة وهو يحكي بين الرفع والخفض.. هي قدرة أن يزاوج الكاتب بين ما يحكيه وبين ما يكتبه وأن ترتقي نصوصه إلى مستوى الإدهاش في الجوهر والنواحي الفنية.

واختتم مقاربتى هذه بالحدث الموجز حول نص قصير بعنوان "الصعقة" سبعة أسطر قدم لنا ساورة بقدرة الفنان المبدع وصفاً وتكثيفاً.. نصها به من الإيهامات وعمق الفكرة ما يشد القارئ إلى التفكير حول ما أراد قوله الكاتب في هذا النص وأوردته كاملاً "في فصل الربيع تنبت الحكمة والجمال.. هكذا يقال.. هكذا دخلت أجري صحبة سلمى صديقتي التي تقارني في العمر والإحساس صوب أبي الجالس في المقهى.. كان عمري آنذاك ثمان سنوات.. فاستأذنته أن لعب معها فلم أشعر إلا بصعقة قوية أسألت دموعي.. ولم أعرف لها سبب..

مضت السنوات.. كلما ولجت تلك المقهى التي تغير شكلها.. تذكرت تلك الصعقة مع أنني نسيت غزارة دموعي ومواساة سلمى التي أصبحت بمرور الأيام نائلة بنفس المقهى.. ولن أعلق.. أتذكر الأمر لذائفة القارئ الكريم في هذا النص العميق والمدنش.. وهي تحية لأديب عربي متجدد.. لينسج فننتظر جديده بغارغ المصير.

قرأت لكم

قنديل الزقاق في طبعته المضاء بالياسمين

سامي الشاطبي

17 في 80:

تكونت المجموعة والتي جاءت في 80 صفحة من القطع المتوسط من (17) قصة قصيرة هي (صنعاء تلك الراحلة.. باب السبح.. نوافذ مضاءة.. قند بل الزقاق.. مذنبة.. عابرة في ليل منتمق الكآبة.. من أحاكي.. لن أنام.. سبع درجات وباب موصد.. رقيب الخطى الضائعة.. بحار.. العناية المركزية.. موت طائر عجزوز.. وراء النعش.. بعث.. كؤوس ثلاثة ووجه واحد).

"لتقف صامتة أمام الغرفة بنوافذها وهي تبعث بموجات ضوئية شفافة عبر قماش خفيف، وتحلم بقضاء مفتوح، وشوارع غير منسي، وسماء زرقاء... محمد المقطري.. لا أحد خلف بوابة القصة يحمل هدفاً كونياً واضحاً وثابتاً مثل القاص محمد المقطري.. لا احتمالات هنا أو تأويلات أخرى لهكذا ووصف.. فالقاص محمد المقطري رغم تجربته القصصية المتقطعة والمتواضعة، إلا أنه يقدم أنموذجاً جديداً للقاص الذي يقدم النص الجيد من دون إصباغ نتاجه بالبهرجات والديكورات!

زقاق بلا قنديل:

قنديل الزقاق.. مجموعة قصصية صدرت للمقطري مطلع العام 2013م عن جائزة رئيس الجمهورية للأداب.. وما استدعاني لتناولها في هذا العدد رغم قدم نشر الكثير من قصصها هي خلوص الساحة من القصص المتميزة الحديثة الزمن.

ملاحظات على درب القنديل:

يلاحظ من خلال القراءة الأولى أن لا قصة محددة يركز عليها المقطري كمادة الكتاب المبدعين الذين يعتبرون كل قضايا الكون

هل كانت الحياة مسرحاً وأتعباً لهذه الدرجة الباعثة على الانتحار؟ سؤال مؤلم يجب عن القاص من خلال تدرج سردي خطير (وبعد ارتعاشات لاهثة لم تدم طويلاً انسحبت من على المسرح رويداً.. رويداً.. فتأخراً أقدار تضع خاتمة معقولة لحياتها.. واختفى رجل في زاوية مظلمة ثم خلا المكان إلا من كاسين بلا أحشاء وطاولت مستديرة ووجه جامد الملامح.. ص 78).

من أحاكي:

الانتقال من قصة إلى قصة أخرى يعني الانتقال من قضية يطرحها المقطري بأسلوبه السردي البديع إلى قضية مختلفة فالوحدة فطبيعة.. يدينها المقطري في قصته "من أحاكي" بكثير من الألم، وبكلمات رغم بساطتها إلا أنها اتسمت بكونها فضفاضة!

"من أحاكي؟.. والسرب يمضي دون أدنى إيحاء... به.. من أحاكي.. حاك جحك.. ص 38)

لا احد في الجوار.. ويزيد فقر بطل القصة من وحدته، فلا احد يتفرغ لسماع فقير!

هل أوجد المقطري العلاج لتلك القضية المجتمعية المعقدة.. بالطبع لا.. ولكنه قدم صورة من صورها مؤكداً على أنها عصية على الحل!

من ذاكرة المكتبة

النصف للمسارق والمسروق منه

أحد الكتب السائرة في تجريب شعر المتنبي، وكلها كتبت في مدة واحدة، وهي (الرسالة الموضحة) للحاتمي والكشف عن مساوي المتنبي) للصابح ابن عباد، و(المنصف) لابن وكيع. قدم له بمقدمتين، في وجوه السرقات وأنواع البديع، وهو الكتاب الذي نقضه ابن جني في كتابه المفقود: (النقض على ابن وكيع). وكان ابن وكيع شاعر قبيلة ضبة في عصره، توفي سنة 393هـ وأقيمت قبة على قبره، في جزيرة تنيس، الواقعة بين الفرما ودمياط، ولم يكن في مصر بلد أحسن منها كما قال المسعودي. وقد تخربت منذ القدم، وكانت ملجأ لكل تائر. قال ابن رشيق القيرواني: (وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك، وسماه (كتاب المنصف) مثل ما سمي اللديع سليماً، وما أبعد الإنصاف منه) (العمدة 2/ 281) وذكره ابن رحيمة فقال: (وكم من مظلوم بريء نسب باتفاق خاطره وخاطر غيره إلى التلصص والإغارة، نحو ما ألفه ابن وكيع عن المتنبي في كتابه الذي سمّاه المنصف، وهو فيه أجور من قاضي سدوم) (المطرب 1/ 69) وعلق الخديان في (المختار من شعر

بشار: 23) على استعارة المتنبي شعراً لبشار في قوله: (بعيدة ما بين الجفون كأنما) بقولهما: (فجاء به ملجأ فأغرب

إغراباً حسناً، غير أن ابن وكيع عابه عليه وقال: هذا تكلف وتعسف..). قال ابن القارح الذي ألف له أبو العلاء رسالة الغفران: (كان

ابن وكيع متأدباً ظريفاً، ويقول الشعر، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي، وحاف عليه كثيراً، وسألني يوماً.. أنظر تلمة الخبر

في (الصبح المنبني) في هذا البرنامج). وقد صرح ابن وكيع أنه بنى كتابه على ذكر

مساوي المتنبي فقال معقياً على البيت: #ثم الزمان إليه من أحيته= ما دم من دهره من حمد أحده: (وليس هذا المعنى لما

يلمس له استخراج سرقة، وإنما ذكرته لما اشترطه في ذكر غث كلامه).

أثناء وجودها في حضرموت، استطاعت ستارك أن تخترق كل الحواجز المقامة حول نساء العرب هناك، وتعمقت في هذا المجتمع، ناقلة صوراً كثيرة مختلفة من جوانب عدة عن المجتمع النسائي الحضرمي قبل ما يزيد على 75 عاماً. وتكلمت عن أمور كثيرة في حضرموت، ابتداءً من السياسة وانتهاءً بالأحاديث النسائية في داخل البيوت الحضرمية العادية. وأسلوب الكاتبة ممتع وتفاعلي، تغلب عليه رهافة الشعور مع تعاطف محبب مع الناس الذين قابلتهم وعاشت معهم فترة خمسة أشهر من الزمان، وتشعر بأنها فعلت ما استطاعت فهم هذا المجتمع وتعاملت معه بكل محبة ومودة.

وعدا عن المحور الإنساني الذي اهتمت به فريا في حضرموت، انصب تركيزها أيضاً على تاريخ طريق اللبان (البخور) الذي كان في العصور القديمة بمثابة ثروة صادرة اقتصت بها هذه

الزاوية من العالم في جنوب جزيرة العرب.

قضيتهم الأساسية، باعتبار أن كل القضايا ما هي خلاصة لقضية إنسانية واحدة.

كؤوس ثلاثة ووجه واحد

الإنسان والشجرة.. الشجرة والإنسان.. يستويان في قصة (كؤوس ثلاثة ووجه واحد) لكلاهما قضية مشتركة..

عطش الشجرة يشير ضمناً إلى عطش الإنسان.. الجفاف يشير ضمناً إلى جفاف الإنسان.. (يأخذ الكأس

الأول شكل طائر غريب.. حط على شجرة غريبة في ارض لا يعرفها..)

يأخذ الثاني.. شكل ثمرة تتأبطها شجرة ذابلة خانت وعدها

عيون السماء... يأخذ الأخير.. ملامح رجل يظهر غارقاً في بركة شرود حميم).

المنظر في قصة المقطري مفرج وكارثي إلى ابعث مدى.. فالحيالة لا تتلاق (طيور تغادر

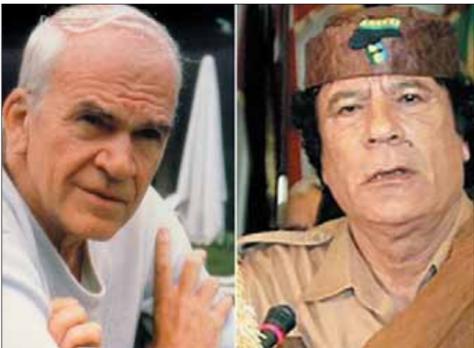
المكان.. أشجار تموت.. جثث تتدافع.. موت. يمكن من الظلام.. وأعشاش بالية تشعلها كف

الوحدة بنار حنين حامية.. ص 76).



بورصة الكتب:

"تحدي الكتب" يبدأ بكونديرا وينتهي بالقذافي



من أفضل عشرة كتب إلى أسوأ عشرة كتب، ليكون التصويت على أعمال راجحة شعبيًا من دون أي قيمة فنية، أو على الكتب

التي تحمّل، إلا أن البعض يرى صعوبة في تنفيذه، إذ لا يُمكن اختزال مئات الكتب المؤثرة والمهمة في تاريخ البشرية بعشرة فقط. فمفهم من اعتذر عن تنفيذ التحدي بعد تسمية أحد أصدقائه له مثل الكاتب حازم صاغية الذي أرجع صعوبة الأمر إلى سببين: «أولهما حصر الجواب في عشرة كتب، والثاني يتعلق بزمان التأثير، أثناء القراءة أم اليوم؟»

وثمة من اختار عشرة كتب لكاتب واحد فقط مثل ميلان كونديرا أو فيودور دوستويفسكي أو نجيب محفوظ، فيما رأى بعضهم الآخر تعديل فكرة التحدي

"تحدي الكتب" عنوان

لظاهرة جديدة تملأ صفحات التواصل الاجتماعي العربية «الغيسبوك»، حيث يتنافس رواها من الكتاب والروائيين والنقاد على تسمية عشرة كتب كان لها أثر كبير في حياتهم، واعتبر العديد من المثقفين هذه الظاهرة بمثابة إعادة اعتبار إلى دور الثقافة الغائب الأكبر في حياة اليومية. أما فكرة هذا التحدي فتعتمد على اختيار أفضل عشرة كتب، ولكل وجهة نظر.

ولم يخل التحدي من الصعوبات بالرغم من أنه لا يتطلب من المشارك فيه أي قوة جسدية أو قدرة على

"شيخوخة قمر" في طبعتها الثانية

إشارة على الغلاف بقلم الدكتور عبد الحميد الحسامي، وكلها تبشر بميلاد مبدع موهوب. دار الكتب تصدر كتاب "البوابات الجنوبية لجزيرة العرب"

أصدرت دار الكتب في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة الترجمة العربية لكتاب "البوابات الجنوبية لجزيرة العرب، رحلة إلى حضرموت

عام 1934م" للرحالة البريطانية فريا ستارك. الكتاب صادر عن سلسلة رواد المشرق

العربي المخصصة لنقل كتابات الرحالة الأجانب إلى العربية، وترجمته وفاء الذهبي،

وعلق عليه الباحث المتخصص في التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث، الدكتور أحمد

إيبش، الذي وصف في مقدمته المؤلفة بأنها «مثيرة للجدل»، إذ «أبحرت في البحر الأحمر

في نوفمبر 1934، ونزلت في عدن المرصاً الرئيس للمحمية البريطانية في جنوب

الجزيرة العربية. وكانت المكتشفة النشطة الجذابة الصغيرة قد حازت شهرة، واختارت

اليمن، وبشكل خاص وادي حضرموت الثاني، مسرحاً لمغامراتها التالية، وثار جدل

كبير حولها في لندن، فتوقّعوا أنها ستهبط بطايرتها الخاصة، أو ربما تأتي وهي تقود قافلة جمال، وكان بعضهم على ثقة بأن

وصولها لم يعن أي شيء سوى المتاعب، لكن مع ذلك احتشد الجميع للقاءها في مقر الإقامة البريطاني».

كان هدفها أن تجد مدينة «شبو» الخفية، عاصمة مملكة حضرموت القديمة المسماة في الأسفار «حبس الموت».



أثناء وجودها في حضرموت، استطاعت ستارك أن تخترق كل الحواجز المقامة حول نساء العرب هناك، وتعمقت في هذا المجتمع، ناقلة صوراً كثيرة مختلفة من جوانب عدة

عن المجتمع النسائي الحضرمي قبل ما يزيد على 75 عاماً. وتكلمت عن أمور كثيرة في حضرموت، ابتداءً من السياسة وانتهاءً

بالأحاديث النسائية في داخل البيوت الحضرمية العادية. وأسلوب الكاتبة ممتع وتفاعلي، تغلب عليه رهافة الشعور مع تعاطف

محبب مع الناس الذين قابلتهم وعاشت معهم فترة خمسة أشهر من الزمان، وتشعر بأنها فعلت ما استطاعت فهم هذا المجتمع وتعاملت

معه بكل محبة ومودة.

وعدا عن المحور الإنساني الذي اهتمت به فريا في حضرموت، انصب تركيزها أيضاً على تاريخ

طريق اللبان (البخور) الذي كان في العصور القديمة بمثابة ثروة صادرة اقتصت بها هذه

الزاوية من العالم في جنوب جزيرة العرب.

